الإرهاب الأسود

لا وقت ، لا وقت · المشنقة تسبق السؤال ، والرصاصة تبحث عن صدر او ظهر · ونادرا ما يرى القتيل وجه قاتله ، كأنه يخرج منه على قوس الظلال ويختفي فيه · او كأن القتل انتحار ، رياح تهب ورمل · وغالبا ما ندرك ان الاشجار العربية ، المتعانقة او المفترقة ، جنازة ثابتة وصامته · ودائما نعرف ان اضلاعنا مشانق · ونحمد اليوم التالي على معجزة التكرار · ومن الهواء ياتي زوار لا نعرفهم · يأخذوننا من ذاتنا ، وينصرفون ، فندافع عن تهمة لم يوجهها الينا أحد ، ونتعذب في سجن لا جدران له · ومن الشوارع تنفجر اسرار لا تعنينا وتتكسر قامات لا نودعها ونادرا ما نحزن · وحين نبحث في السجون عن اسمائنا لا نجد لها اثرا ولا شبها · وعندما نتحرى الجدران عن دمنا لا نجد غير هتافات جميلة تعدنا بصباح حتمي ، يكتبها زوار الليلنيابة عن الشهداء · وتتاح لنا احيانا فرص لمحاورة الجلادين ، فنجدهم اذكياء وطيبين ، يعرفون لغتنا واحلامنا وينحتون لنا المستقبل في الصخر· وكلما خاطبناهم بلغة عاطفية سبقونا الى البكاء· وكلما عاتبناهم على ظلم لحق بالابرياء اخذونا الى الشرفة لنرى صفوف الشهداء تبايعهم ، فنعتذر او نكاد ، ونفتش عن القاتل في مكان آخر ، ونتبش جلودنا لنلمس دمه فينزلق · وتبقى التهمة مسالة نفسية وترجأ الاسئلة الى زمن آخر · الكل يعرف الخطر الذي يتربص بالرجاء ، والكل يتفق على ان تحول الشمس الى احتمال يومي صار موضوعا قابلا للخلاف · فاين الخطأ واين الصواب ؟ والجلادون ظرفاء يحبون الاغاني وانيقون بلا حدود · وحين يمرض الواحد منهم يؤتى اليه بجماهير حزينة لتعوده وتودعه ، فيسأل مترجمه الشعبي عن اللغط فيجيب : جاء الشعب مودعا ، فيتساءل ببراءة صادقة : الى اين يسافر الشعب ؟!· هل يستطيع وزير واحد ان يبلغ الحاكم ان الشعب لا يسافر ؟ لماذا تسبق المشنقة السؤال اذن ؟ ولماذا يبنون لنا مزيدا من السجون اذا كنا جميعا طلقاء ؟· تنزل الاسئلة الى الهمس فيسمعها العصفور ويشي · ولكن الوجدان يشتاق الى محاكمة يتلو فيها المدعي العام